مريم وحسان

زارت وقد صوّم ندماني رومية من شيد بغدان
في اجانب الشرقي من دجلة غربيها اهلي وجيراني
اقسم راليها بها ما رأت مثالها في الناس عينان
وقال إن تصدق علتوني بها فانها من حور رضوان
فهي ملاك قد تجسّمت لنا انوارهُ في شكل انسان
وانت وسيف الفجر شق الدجى فسالت منهُ دمهُ القاني
فقلت بشرى معجزٌ باهرٌ ليل به يطلع بشران
واقبلت ترفل في ريطةٍ إزرقار شجعان بميدان
تجرّ ذيلاً ماحياً إثرها محافة النمام والشاني
وتنثني من خطرات الصبا كما انثنى غصن من البان
تطفها الغرف وقد هزّها للدلّ والخرة سكران
وسلّمت بالرأس ثم انثنت فسالفتني دون اخداني
وقد حنا الحب لها راسهُ حنوّ مملوك لسلطان
حتى اذا النادي بها ازدان وال بشر علا وجه ندماني
غنّت على ضرب زاليانو (١) فمن إسحقٌ في ضربٍ وألحان
واتجه الفكر اليها فلم يشغلهُ عنها شاغل ثان
ورجيت الاجسام ان لو غدت جميعها موضع آذان
وبينا نحن على حالة قد طاب فيها عيشنا الفاني
من وارف الظلّ لنا كلةٌ وفرشنا روضة بستان
إذ دهمتنا عصبة ما بها غير شقيّ عبد شيطان
من كل إنسانٍ قسا قلبهُ فان عليهِ ذبح انسان
فاختطفوا مريم من بيننا وابتدر الصحب لغذلاني
وفرّ خلاني الاّ فتىً من أسرتي قد ظلّ يرعاني
فاستصرخت مريم اين الاولى بهم أرجّي دفع عدواني

(١) احد اسماء بغداد

اين ذو الاعراض والفخوة ان فساء من شيب وشبان
خمت استنجد ذاك الفتى والكل منا يجهد الثاني
فصاني مع صاحبي فجأة ما بين جنبينا شهبان
غرّ كل صعدة جسمه مزمل في دمه القاني
وارسلت مريم من لحظها نظرة مأمورة وحيران
وجرّها بالعنف اعداؤها وهي تنادي اين نتيالي
وجاء جندي على غرة مسلح من جند عثمان
يحسر تلك الارض في زحمة ويحفظ القاضي والداني
فاسلمت منه خلاصاً لما رأته قاصد العاني
خاطبها من لؤمه باللحى وقال صبراً بعد سلوان
فاحفلت منه سمعت قوله إجفال غزلان وظمان
وارتعدت من فرط ما نالها رعدة مفلوج ورطان
وسالت دمع العين من قلبها في الخدّ يجري جري غدران
ومذ رأت ليس لها راحم من مسلم برّ ونصراني
مدّت الى الرب يديها معاً داعية لله ذي الشان
والنفس في رقدة إغفائها قد اشبهت حالة نسوان
وبينما كانت على حالة في لها الصاحب والثاني
اذ هيأ الله لها منجداً يعرف في القوم بحسان
العفو والرحمة في قلبه والرفق بالبائس والعاني
فانقضّ كالبازي على صعوة او نيزك من رأس بركان
وحلّ فيهم اسد خادر قد حلّ في سرح من الضان
وخلّص البكر التي صانها عفافها عن وصمة الزاني
واوثق القوم كتافاً وقد البسهم اثواب نسوان
وسائقهم من بعد ما طلق ان جندي للقاضي كحملان
فاستنطق الجندي قاضي الورى يسأله عن صدق تبيان
فقال يا قاضي القضاة الذي يقضي على شرع وقرآن
اسمع مقالي الخير يا سيدي والصدق والعفة من شاني

ان شجاع الحرب يوم الوغى ... الف فرسانا بفرسان
أسرت ذي الغصة مع شجنهم ... هذا الذي في الحرب اعياني
وقدته قود الذلول الذي ... اطاعني من بعد عصيان
وصفرة اللون الذي لم يشب ... بانكذب هذا الرجل الجاني
فزجه الحاكم في جانبي ... سجن عليه شرّ سجان
وبات في محبسه ليلة ... في سهر دامٍ واشجان
ثم قضى في صبحها نحبه ... والموت فوز الواجد العاني
فشيع النعش ذوو رحمة ... من طالبي أجر وغفران
وعند ما صاروا بتشييعه ... وقد مشوا مشية عجلان
لاقتهم مريم من خلفها ... جمع محامين وأعوان
قاصدة قاضي القضاة الذي ... يحكم في ظلم وعدوان
فأوجست لما رأت نعشه ... ملقى على اكتاف غلمان
ثم انثنت نحو فتى خلفه ... تسأل عن نعش الفتى الفاني
فقال والدمعة من عينه ... ساكبة ذا نعش حسان
خلص بالامس فتاة من ال ... سبي فعدّوه الفتى الجاني
ومات ذي الساعة يا سوء ما ... يجزى به صاحب إحسان
فصعقت مريم من شجوها ... وكم قضى صريع اشجان
فضجّ كل الناس من امرها ... واطلقوا الدمع كمثيان
وارسلوا خلف ذويها لكي ... يأتوا بنعش وبأكفان
فجاء شيخ وعجوز معاً ... وطفلتان ثم طفلان
يبكون للحق ومن خلفهم ... قد حمل النعش فتيان
وشيعوا النعشين في حفلة ... يبكي عليها كل غيران
ودفنوا الميتين في حفرة ... في روضة في وسط بستان
وخطّ بالتبر على لوحها ... هذان ميتان شهيدان
مريم ماتت في سبيل الوفا ... ومات حسان باحسان
عليهما صلى الله الورى ... برحمة منه ورضوان

بغداد — كاظم الدجيلي